كرامات الأولياء
دراسة اجتماعية تحليلية لمضمون الرسائل المرسلة إلى مرقد الإمام أبو الفضل (ع) في الديوانية

أ.م. جلال علي هاشم الاعرجي &م.باحث: وليدة عبد سماوي
كلية الاداب /جامعة القادسية

الخلاصة:

هدفت الدراسة الحالية (الاعتقاد في كرامات الأولياء) إلى الكشف عن المعطيات المادية التي تشير إلى قوة وجدوى استمرار هذهِ المعتقدات والتي تتعلق بأرسال الخطابات إلى مراقد الأولياء ، وسبب إرسالها وما هو مضمون هذهِ الرسائل .

تكونت عينة الدراسة في تحليل مضمون (٥٠٥) رسالة تم إرسالها إلى مرقد الإمام أبو الفضل بن الإمام موسى الكاظم (ع) . وتم اعتماد عمليات التحليل الإحصائي بأستخدام جداول التحليل الرياضي والنسبة المئوية ومربع كاي .

وقد كشفت الدراسة عن تعدد دوافع إرسال هذهِ الرسائل فمنها ما كانت دوافع نفسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وهي إحدى العناصر الثقافية الراسخة في المجتمع العراقي. وكان من العوامل ذات العلاقة بالظاهرة قلة الحيلة والعجز عن مواجهة مشكلات الحياة إضافة إلى الظلم المجتمعي الذي يقع على الكثير من مرسلي هذهِ الرسائل ، وخاصة النساء ، كما توصلت الدراسة إلى أن نسبة (٧٠.٥%) من الرسائل كانت مرسلة من النساء مقابل ما نسبتهُ (٢٩.٥%) من الرجال .

وكشفت الدراسة في تحليل محتوى الرسائل انهُ في مقابل الألقاب وعبارات التعظيم للإمام فأن الإفراد يصفون أنفسهم بصفات في مستوى الذل والمهانة ، وكأنهم مغلوب على أمرهم ولا حيلة لهم فقد بلغت نسبة (١٣.٣%) من الرسائل للذكور تحوي هذهِ الصفات ونسبة (٥.٢%) من الرسائل للإناث .

واسفر تحليل مضمون الرسائل أنها تضم مشكلات يعاني منها أصحابها وهم يطلبون عون الولي لحلها وهي مشكلات صحية وأخرى رسائل تحمل مشكلات الأسرة والزواج ومشكلات اقتصادية ، قضايا جنائية وأمنية ، وهناك رسائل تحمل قضايا السحر ، بعضها رسائل الاعتراف في التقصير بالعبادات ، ورسائل الشكر والعرفان بذات النسبة .

وقد أشارت النتائج أن الرسائل أحتوت طلبات متنوعة أراد أصحابها الضفر بها بمساعدة الأمام وما لهُ من حظوة عند الله تعالى وهي بنسبة (٣٦.٨%) في طلب الشفاء وحل العقد ، وبنسبة (٢٣.٩%) تحقيق الحكم العادل ورفع الظلم ، وبنسبة (١٩.١%) الانتقام من الأعداء و(٧.١%) تسهيل عودة الغائب أو العثور على مسروقات ونسبة (٦.٢%) طلب الشفاعة والعفو والمغفرة .

وهناك رسائل تحوي على الوعود بإيفاء النذور في حالة تحقق المراد وكانت النذور مختلفة منها نقود ومنها مواد عينية مختلفة وهناك نذور طقوسية نسبتها (١٦.٤%)، وأوضحت الدراسة وبالدلائل الإحصائية أن نسبة الإناث أعلى من نسبة الذكور في إرسال هذا النوع من الرسائل .

وعلى ضوء هذهِ النتائج وضع الباحثان جملة من التوصيات .

المقدمة

تنتشر أضرحة الأولياء ومقاماتهم في كل إرجاء العالم الإسلامي وتكاد لا تخلو مدينة أو قرية من وجود هذهِ المقامات التي يرتادها الناس لطلب الشفاعة والاستعانة بها في تحقيق أمانيهم أو لحل المعضلات الحياتية التي يواجهونها ، وفي العراق عادة ما تشكل هذهِ الأضرحة نواة التجمعات السكانية

، و محج وملجأ وأماكن للتبرك واستجلاب الخير ، كما أنها أماكن للحماية واستجلاب الأمن للمغلوبين على أمرهم ومن وقعوا ضحية الظلم المجتمعي ، وكثيراً ما تشهد هذهِ المراقد المقدسة الزيارات المليونية خاصة في المناسبات الدينية ، وتقدم فيها الأدعية والنذور والقرابين وطلبات الرجاء تقرباً لصاحب المقام .

ويؤمن الكثير من الناس بحدوث ظواهر خارقة على أيدي هؤلاء الأولياء تدل على ما يتمتعون بهِ من امتياز عن سائر البشر ، ومن قدرة فائقة على قضاء الحاجات لقربهم من الله تعالى . (مصطفى حجازي ، ٢٠٠٧ ، ١٤٣) .

حاولت الدراسة الحالية تحليل مضمون (٥٠٥) رسالة من بين مجمل الرسائل المرسلة إلى ضريح الإمام أبو الفضل (ع) في الديوانية والتي استطاع الباحثان الحصول عليها من مقصورة الإمام.

تقع الدراسة في فصلين ، الفصل الأول وقد تضمن المبحث الأول منهُ (مشكلة الدراسة وأهميتها وتساؤلات الدراسة وأهدافها والتعريف بالمصطلحات) ، وتناول المبحث الثاني (التعريف بكرامات الأولياء ومكانتهم عند الشيعة) إضافة إلى أيجاز بالدراسات السابقة .

وضم الفصل الثاني (الإطار المنهجي للدراسة) والمبحث الثاني (تحليل البيانات) والتي خلصت إلى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات .

الفصل الأول : المبحث الأول

١- مشكلة الدراسة

تعتبر المعتقدات الشعبية جزء من الثقافة التقليدية التي استمرت مع استمرار المجتمع وشكلت نمطٍ سلوكياً يحرص الإفراد على ممارستها في حياتهم . (محمد احمد غنيم ، ٢٠٠٧ ، ٧١ : ٧٢)

وفي المجتمع العراقي معتقدات غيبية كثيرة توارثتها الأجيال الحاضرة عن الأسلاف ، والتي لازال البعض من الناس يلجأون إليها في حالة المرض ويحرصون على ممارستها اعتقاداً منهم من أنها تدفع الشر عنهم وتجلب الخير والحظ السعيد لهم .

ومن المعتقدات الشائعة ظاهرة التوسل بالأولياء وطلب شفاعتهم حيث تنتشر مراقد وأضرحة الأولياء الصالحين في المدن والقرى العراقية . ويذكر الدكتور علي الوردي (علي الوردي ، ٢٠٠٩ ، ٢٦٨) .

إن لهذهِ المراقد المقدسة وظيفة نفسية واجتماعية مهمة تؤديها للناس الذين عادة ما يلجأون إليها طلباً لشفاعة الأولياء الراقدين فيها ، حيث يتوسلون إليهم بالدعاء ويرسلون إليهم الرسائل ويقدمون إليهم النذور والقرابين لقضاء حاجاتهم ، ولا يحلفون بهم كذباً حيث الإيمان بكرامتهم متواترة عند أهل السنة والشيعة من الريفيين والحضريين وإعراب البادية ، وتفصل أكثر الدعاوي بالحلف بهم .

ويذكر الدكتور سيد عويس في دراستهِ الرائدة (رسائل إلى الإمام الشافعي) شيوع هذا النوع من المعتقدات والممارسات في أوساط بسطاء الناس خاصة ، والركون إليها في التعامل مع مشكلات الحياة بالتعويل على كرامات الأولياء عند الله تعالى حيث لا يخيب الرجاء عندهم برفع المعاناة عن أصحاب الحاجة وحل مشكلاتهم . (سيد عويس ، ١٩٧٨ ، ٩)

ونظراً لعدم أيلاء الباحثين هذهِ الظاهرة الاهتمام التي تستحقهُ من الدراسة ولسعة انتشار هذهِ الممارسات والتي هيأت لها ظروف وأزمات المجتمع العراقي الأرضية المناسبة ، ناهيك عن ما يحملهُ المواطن العراقي خاصة البسطاء منهم من ثقافة وإيمان بالغيبيات التي تسيطر على حياتهم وسلوكهم الاجتماعي . وجد الباحثان ضرورة ايلاء هذهِ الظاهرة الاهتمام الذي تستحقهُ . فالزائر لمقامات الأولياء يجد في (مقصورة) الضريح أكوام كبيرة من (القصصات الورقية) المختلفة التي تحمل في داخلها إسرار وعجائب تستوجب العناية والدراسة العلمية الدقيقة لها ، خاصة وان تلك الرسائل تحوي على معانٍ لكثير من المشكلات الخفية التي يحتفظ بها أصحابها لأنفسهم ولا يبيحون بها لأحد وهي

جوهر مشكلات إنسانية حقيقية يبحث فيها صاحب الحاجة عن الخلاص والخروج من الأزمات المتوالية عليهِ فلا يجد سوى كتاباتهِ إلى من يعتقد بأنهُ لا يخيب أملهُ في الرجاء والإجابة لحاجاتهِ .

ولعل عجز مؤسسات الحياة دفعتهم إلى مناشدة مؤسسات ما بعد الحياة للخروج من مشاكلهم ومعاناتهم اعتقاداً منهم إن (الأولياء) هم أحياء عند ربهم يرزقون يقدمون ما يعجز الآخرون عن تقديمهُ لهم .

ثانياً :- أهمية الدراسة

تحاول الدراسة الكشف عن ما يسكبهُ بعض الناس على القرطاس من عواطف ومشاعر مكبوتة ، فلعل هؤلاء الناس لا يجدون وسيلة أخرى غير هذهِ للتفريغ النفسي ولتخفيف معاناتهم ، ولعل لمس مشاعر هؤلاء الناس وإيضاحها من خلال رسائلهم للأولياء قد يسلط بعض الأضواء على نقاط الضعف في الأجهزة العامة التي من اختصاصها إن تخفف أو تعالج بعض ما يعانيهِ هؤلاء .

لقد جاءت هذهِ الدراسة سباقة في بحث ظاهرة على جانب كبير من الأهمية والتي لم تحظ بما تستحقهُ من الاهتمام العلمي من قبل الباحثين على الرغم من سعة انتشارها في مجتمعنا إذ لا تخلو أي (مقصورة) لأضرحة الأولياء من هذهِ الرسائل . لذلك فأن هذهِ الدراسة يمكن أن تكشف مخطط للسياسة الاجتماعية جانبِ مهماً من خفايا مشكلات ومعاناة إنسانية للمواطنين ذات ملمس واقعي .

ولا يدعي الباحثان بأن الدراسة الحالية دراسة جامعة مانعة أنما هي حقيقة الأمر دراسة تحليلية وصفية ، وهي بالضرورة سوسيولوجية ذات بعد ثقافي بمعناهُ الواسع تعرض لملامح من معتقدات المجتمع العراقي المعاصر على أمل إن تتبعها دراسات أكثر عمقاً وشمولاً .

ثالثاً :- تساؤلات الدراسة :

١- لماذا إرسال هذهِ الرسائل إلى الأولياء ؟
٢- ما هو مضمون هذهِ الرسائل التي تقدم للأولياء ؟
٣- ما هي المعطيات المادية التي تشير إلى قوة وجدوى استمرار هذهِ المعتقدات ؟

رابعاً :- أهداف الدراسة :

١- الكشف عن أنواع المشكلات التي عرضتها الرسائل المرسلة وأكثرها تكراراً .
٢- الكشف عن ما تضمنتهُ الرسائل من طلبات وما هي الوعود التي تعهد أصحاب الرسائل بتقديمها بأنقضاء طلباتهم .
٣- تفسير عوامل استمرار وجود هذهِ الرواسب الثقافية والمعتقدات ذات الطابع الديني (المقدس) في المجتمع العراقي المعاصر.

خامساً :- في تأصيل المصطلحات ودلالاتها الاجتماعية :

لقد حدد الباحثان اثنين من المصطلحات العلمية لمساسها المباشر في موضوع البحث وذلك توخياً للدقة العلمية .

١- المعتقدات الشعبية (Falk Beliefs)

- أصل المعتقد في اللغة .

من اعتقد الشيء أي صلب واشتد ... والمعاقدة المعاهدة – والعقيد هو الحليف ... وقيل هي الفرائض التي الزموها ... والعقود التي يعقدونها بعضهم على بعض على ما يوجبهُ الدين (ابن منظور ، د.ت ، ٣٠٩ : ٣١٣) .

ويرتبط المفهوم العام لمصطلح المعتقدات بصفة (الشعبية) والتي يقصد بها ما يؤمن بهِ الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعلم فوق الطبيعي .(محمد الجوهر ، ١٩٨٨ ، ٦٢)

– ويشير عالم الانثروبولوجيا (Tylor) بأن المعتقد هو حكم يتعلق بالواقع يقبلهُ الفرد بأعتبارهُ صحيحاً ويختلف عن القيمة (Value) التي تتعلق بما يعتبرهُ الفرد مرغوباً فيهِ(نبيلة إبراهيم ، ١٩٦٧ ، ١٢٤).

وحين يدرس الانثروبولوجي ثقافة مجتمع ما فهو يهدف إلى التركيز على وصف التصورات والمعتقدات والأفكار التي تتسم بأنها مقننة وتكرارية وتقليدية ، وهي معارف مشتركة بين كل الأشخاص في المجتمع حيث يشير مفهوم المعتقدات الشعبية إلى البناء الكلي لمعرفة الفرد عن نفسهِ والعالم المحيط بهِ .(د. كامل عبد المالك ، ١٩٨٢ ، ٣٤) .

– أما مفهوم المعتقدات في علم الاجتماع فقد قدمهُ دوركهايم (A- Durkheim) بمعنى الأفكار والتصورات المنتشرة بين أعضاء جماعة والتي تتصف بالشمول والقدسية .(Durkheim , 1961 , p. 53)

ويكتسبها الإنسان بصفتهِ عضواً في مجتمع ما . (شاكر مصطفى سليم ، ١٩٨٤ ، ٩ : ١٠)

واتجه الانثربولوجيون إلى تقسيم المعتقدات الى: معتقدات وسيلية وأخرى غيبية ، فالمعتقدات الغيبية هي تلك التي تزود الناس بالأفكار الموجهة نحو تنظيم وجودهم في الكون ، وهي تقع خارج نطاق الحس الشعوري ، وقد عبر عنها بعض الانثربولوجيون بمفاهيم الدين (Religin) والسحر (Magic) والقوى فوق الطبيعية (Super natural). (Hunter , 1976 , P 315)

– أما مفهومنا الإجرائي للمعتقدات .

هي كل ما تناولتهُ ثقافة مجتمع ما من موروثات سواءً كانت مادية أو غير مادية و التي يتخذها الفرد أسلوباً للحياة ولمواجهة الأزمات والمشكلات الاجتماعية التي يتعرض لها والتي يتوارثها الناس جيلاً بعد جيل كجزء من ارثهم الحضاري .

٢– كرامات الأولياء

الولي من والى الله بطاعتهِ وولاه الله بمعرفتهِ فلازم التقوى واتبع السنة وخالف أهل البدع والأهواء ، ولم يتخلل طاعتهِ عصيان ولهُ كرامة عند الله (أبي عبيدة ماهر آل مبارك ، ١٩٩٥ ، ٩٩)

يعرف الأولياء بأنهم أولئك الأشخاص الذين يختصون بقوى وقدرات خارقة ، يتميزون بها عن سواهم من الناس ، تجعلهم قادرين على أداء أفعال غير عادية يعجز الإنسان العادي عن أدائها تعرف بالكرامات .(السيد احمد حامد ، ١٩٧٣ ، ٢٩٠)

والأولياء في المعتقد الشعبي ، هم أولياء الله الصالحين لهم الكرامات ومن وجهة النظر الدينية هم المتقين الذين امنوا ، وكانوا عباد الله المخلصين ، ويدعون إلى هدى الله وشرعهِ دائماً .(محمد شلتوت ، ١٩٦٩ ، ١٩٠)

وقد خص الله سبحانهِ وتعالى في كتابهِ الكريم الأولياء بقولهِ (إلا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) .(يونس ، ٦٤) وقولهِ تعالى (إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون) (الانفال ، ٢٤) .

وأولياء الله لهم درجات مختلفة وبحسب القرب من الله تعالى وهذهِ الدرجات ، أهل الحديث والمجالسة وأهل المناجاة ، وأعلى الدرجات عند الأولياء وأقواها هي درجة المشاهدة (درجة الفناء) أي فناء العبد في عين الإلوهية .(عبد الرزاق نوفل ، د.ت ، ١٩ : ٢٠) و(محمد عبد المنعم خفاجي ، د.ت ، ١٩ : ٢٠)

والولاية عند الشيعة (الإسماعيلية) هي أفضل دعائم الدين الإسلامي فأن طاع المؤمن الله تعالى ، وأقر برسالة الرسول وقام باركان الدين كلها ، ثم عصى الإمام ، وكذب فهو آثم في معصيتهِ وغير مقبولة منهُ طاعة الله وطاعة الرسول .(د. مصطفى محمد سبتي ، ٢٠٠٧ ، ١٢٥)

ويشهد الناس إن للأولياء كرامات ، والكرامة هي (قدرات خارقة وحالة من التجلي التي لا تكون لأي فرد في المجتمع ، إلا للولي الذي يتصف بصفاء الذهن وعمق العقيدة والإيمان ، وهذه من أهم عناصر علم البارسايكولوجي في الوقت الحاضر وهذا ما يسمى بالبعد الروحي)(محمد عابد الجابري ، ١٩٨٧ ، ١٣٣ : ١٣٤).

والكرامة أو البركة هي قوى خارقة للعادة وهي فضيلة أو نعمة من عند الله وهي بمعناها هذا تجعل صاحبها متمتعاً بمكانة ممتازة ، حيث يعتقد أن جزء من بركة الرسول (ص) قد انتقلت إلى أحفادهِ الأشراف من نسل فاطمة (ع)(د. كامل عبد المالك ، ١٩٨٢ ، ٧٧) .

إلا أن هناك عدم اتفاق بين العلماء بشأن الكرامات فطائفة قد أنكرت وجودها كونها تؤدي إلى إبطال النبوات كالمعتزلة ، وطائفة جوزت وجود هذهِ الكرامات للأولياء واستأهلوها لأعمالهم وإيمانهم وعباداتهم وطاعاتهم فتمثلت هذهِ الكرامات في الصوفية ولهم فيها شواهد كثيرة قد تدخل في باب المعجزات مثل المشي على الماء وطي الأرض وظهور الشيء في غير موضعهِ وفي غير وقتهِ .(يوسف سامي اليوسف ، ١٩٩٧ ، ١٣١)

والكرامة التي يتمتع بها الأولياء هي الإلهام والقدرة على معرفة ما خفي واستتر للوصول للحق والمعرفة ولا يجوز إنكار هذهِ الكرامات عند الأولياء والتي لا تنقطع حتى بعد موتهم ، وهي كثيرة قد تصل عند شيوخ التصوف منها إلى أشفاء المرضى والمعوقين بلمسهِ مكان العوق بيدهِ ، وهي إحدى القدرات الخارقة التي تستعمل اليوم بواسطة اللمس .(حسين علي قيس محمد القيسي ، ٢٠٠٧ ، ٢٤٢)

والكرامة ابنة مجتمع ارتبطت بتطورهِ ، وما انفصلت قط عنهُ ، والظواهر والحوادث الاجتماعية والاقتصادية ، لا تؤخذ بمعزل عن العوامل الثقافية وإن الكرامة عند الأولياء ، غرض لعلم خاص هو علم الكرامة ، ، وإن ارتباطها الوثيق بالدين يمنحها الاحترام والقوة.(علي زيعور ، ١٩٨٤ ، ٢٣ : ٢٤)

وجسدت الصوفية المبكرة وعبرت عن الروحانية القرآنية من خلال (الطريقة) إلى القرب من الله تعالى التي يعبر عنها (المريدين) وهناك اعتقاد خاطئ بأن الشيعة هي اصل التصوف على الرغم من أن علي بن أبي طالب (ع) يعتبر عنصراً مهماً في التكوين الروحي للشيعة الصوفية .(كولين تيرنر ، ٢٠٠٩ ، ١٤٣ : ١٤٤)

المبحث الثاني

الأولياء عند الشيعة*

يعني التشيع الفرق .. والشيعة إتباع الرجل وأنصاره .. واصل الشيعة الفرقة من الناس .. وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيتهِ ، واصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة – وقال الأزهري الشيعة قوم يهون هوى عترة النبي محمد (ص) ويوالونها .(ابن منظور ، د.ت ، ٢٥٧: ٢٥٨)

واعتقاد الشيعة أن آل الرسول وبخاصة الذكور من نسل علي بن أبي طالب (ع) وفاطمة أبنة محمد (ص) هم من لهم الأحقية الأولى في حكم المجتمع الإسلامي وولايتهِ .(كولين تيرنر ، مصدر سابق ، ٣٢٢ : ٣٢٤)

وأن ما يقوي دعائم المجتمع الشيعي في القرآن الكريم من تكريم آل البيت (عليهم السلام) بقولهِ تعالى (إنما يريدُ الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . (الاحزاب ، ٣٣)

وهذهِ الآية إنما تدل بشكل واضح تطهير الله تعالى لآل البيت النبوي الشريف وعصمتهم ، طهارة دائمة وعصمة مستمرة مع تعاقب الأجيال . وأهل البيت الذين عنتهم الآية هم أولاد الإمام علي بن أبي طالب (ع) وأحفادهِ من السيدة فاطمة الزهراء (ع) هم الخلفاء والشفعاء ، وأطلق على هؤلاء

الخلفاء لفظ (الأمام) والذي يعني القائد الروحي والديني في الوقت ذاتهِ ، على عكس ما تعنيهِ كلمة (خليفة) أو (سلطان) من مدلولات وقتية أو دنيوية .(كولين تيرنر ، مصدر سابق ، ٣٢٤) و((آرنست غيلنر ، ٢٠٠٤ ، ٢٢٣ : ٢٣٣)

وعند الشيعة (الاثنا عشر) وهي أكبر الجماعات الشيعية ، أن محمد (ص) قد أجاز خلافة المسلمين لأثني عشر أماماً أو قائداً وتبعهُ الباقون من نسلهِ حتى يصلوا إلى الإمام الغائب (المهدي) (عج) الذي يعتقد إنهُ اختفى وهو طفل إلا أنهُ سيعود في آخر الزمان لينشر السلام والخير في العالم .(حسن عيسى الحكيم ، ٢٠٠٥ ، ٧٥)

وإن ولاء الشيعة لآل البيت قائم في أعماق نفوسهم وبأيمان عميق يدعوهم الاعتقاد بأن دعوة العبد لهم عند الحاجة وطلب الإجابة واردة في القرآن الكريم بقولهِ تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيكم).(الأنفال ، ٢٤)

وقولهِ تعالى (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض) .(النمل ، ٦٢) ، وفي الحديث النبوي الشريف كوكبة كبيرة دعت المسلمين إلى التمسك بالعترة الطاهرة منها (قول الرسول (ص)) (خلفتُ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تظلوا بعدي أبدا) (عبد الله محمد بن علي الترمذي ، د.ت ، ١٣) .

وعادة ما يقوم الشيعة في العراق بزيارة مراقد الأئمة من آل بيت رسول الله (ص) تضرعٌ لقضاء الحوائج لما لهم من مكانة عند الله عز وجل ورسولهُ الكريم ، ومن ذلك ما يسمى مرقد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) والد الإمام أبو الفضل* (ع) مجال دراستنا هذهِ بـ (باب الحوائج) لأنهُ حسب المعتقد الشيعي ما توسل بهِ أحداً صادقاً مضطراً إلا وتشفع لهُ عند الله وقضى حاجتهِ وقيل في مرقدهِ بـ (الترياق المجرب).(باقر شريف القرشي ، ١٤١٧ هـ ، ٤٥ : ٤٦)

فقد ذكرت أحاديث نبوية شريفة لفضائل أهل البيت الأولياء وكراماتهم عند التضرع والدعاء في مراقدهم المقدسة في شفاء المرض والمس وغيرها لما لهم من مكانة بوصفهم من أصحاب الشارات والكرامات .(أنظر جلال الدين السيوطي ، ١ : ٢٥)

وتشهد المناسبات الدينية عند الشيعة زيارات مليونية يحتشد فيها الناس وفاءاً لأوليائهم وتبركاً بهم وإن هذهِ الظاهرة أي التبرك بالأولياء والزهاد من الظواهر السائدة في المجتمع العراقي ، حيث أن كل ما اتصف بالزهد والعبادة والورع والكرامة كان موضع استقطاب الناس لهم سواء كانوا أحياءاً أو أموات يلجأ لهم الناس .(حسين علي القيسي ، مصدر سابق ، ٢٤٩ : ٢٥٠) و(د. علي الوردي ، ٢٠٠٩ ، ٢٦٩ : ٢٧٠)

إن هذهِ المعتقدات الشعبية في حب آل البيت وزيارة مراقدهم وطلب الشفاعة منهم والتبرك بهم لاقت الرفض في حركات ومذاهب متعددة أبرزها (الحركة الوهابية) شديدة التعصب والإنكار لكرامات آل بيت النبوة ، اعتقاداً منهم أن هذا شرك بالله تعالى ، لذلك فقد حاربوا الشيعة في معتقداتهم هذهِ ، حتى سويت في مكة والمدينة مقابر الرسول (ص) وآل بيتهِ وصحابتهِ بالأرض وفي مدينة كربلاء (المدينة المقدسة عند الشيعة) هدم مرقد الإمام الحسين (ع) ودُبح العديد من الحجيج الشيعة .(حمزة الحسن ، ١٤١٣ هـ ، ٢٧١) و(كولين تيرنر ، مصدر سابق ، ٢٧٨ : ٢٧٩) .

المبحث الثالث : الإطار النظري لتفسير القدرات الخارقة .

قدمت عدة أراء لتفسير الأحداث والوقائع الخارقة التي تنسب إلى قوى غير محسوم العلم أو الحكم بتأثيرها باستثناء التفسير الإسلامي الوارد في القرآن الكريم وهي :-

١- الفكر الإسلامي وتفسيرهُ للخوارق الدينية .

ظهرت على أيدي الرسل والأنبياء (المعجزات) وظهرت الكرامات على أيدي الأولياء ، وقد ساق علماء الإسلام الأدلة على (المعجزات والكرامات) لأسباب عقائدية بحتة إذ إن الخوارق تحدث في

قدرة كن فيكون وهي إشارة لقولهِ تعالى (إنما قولنا لشيء إذا أردنه أن نقول لهُ كن فيكون) (النحل ، ٤٠) .

لذلك فأن علماء الدين الإسلامي لا يجدون تفسيراً لخوارق العادات سوى اعتمادهم على فهم الدين والنصوص الشرعية التي قد تقف عاجزة عن تفسير الكيفية التي تحدث فيها تلك الخوارق والتي عجز النبي إبراهيم (ع) عن الكشف عنها حيث قال (ربِ ارني كيف تحي الموتى ، قال أولا تؤمن قال بلا ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبلٍ منهن جزءٍ ثم ادُعهن يأتينك سعياً واعلم إن الله عزيزاً حكيم)(البقرة ، ٢٦٠) وانظر (نهرو الكسنزاني ، ٢٠٠٧ ، ١٩٨ : ٢٠٤) .

وجاء في سياق ذات المعنى أن لبعض الناس الذين يصطفيهم الله سبحانهُ وتعالى ، القدرات الخارقة ، (الفوق الطبيعية) أو منهم مالكي (المانا) وهم من أصحاب المزارات والسادة في العراق بوصفهم من أصحاب الشارات .(مجيد حميد عارف ، ١٩٩٠ ، ٢٠١)

وهناك ثلاث مستويات لأصحاب القدرات الخارقة

- فمنهم أولئك المنحدرون من سلالة النبي محمد (ص) وهم بالطبع الأولى في خلافتهِ .
- وهناك الأشخاص العارفين بشكل عام والذين يحتلون مرتبة عالية مثالية من التدين يطلقون البرهان على القدرة التي حباهم الله بها ، وعادة يطلق تسمية ولي على هؤلاء الأشخاص .
- وهناك الأولياء ، الشعبيون وهم أشخاص ميالون نحو شطحات صوفية ، ونماذج بها مس لكنهم لا يتطابقون مع المجانين . (كامل عبد المالك ، مصدر سابق ، ٧٧)

وهناك من يجد في الطريقة الصوفية الكسنزائية التطبيق الظاهري والروحي لكتاب الله الكريم والسنة المطهرة وهي تطبيق حي لما كان عليهِ الرسول (ص) ، حيث كانت مصحوبة بالتأثيرات الروحية والنفحات الربانية فالأنبياء يدعون بالحكمة التي هي المعجزة ، إما الأولياء يدعون بالحكمة ولكنها الكرامة ، والنبي معصوم في أفعاله وأقواله وأحواله ، والولي محفوظاً في ذلك ، والنبي آمين الوحي ، والولي آمين الإلهام .(نهرو الكسنزاني ، مصدر سابق ، ٣٧ : ٤٠) وتظهر الخوارق على أيدي الأولياء من الكرامات خاصة في الشفاء الفوري ما يفوق التصور والخيال ، ومنها ما روي عن الشيخ الفاروقي انهُ كان إذا جاءهُ المجذوم يسألهُ الدعاء بالشفاء ، فسقاهُ ماء وضوئهُ فيشفى في الحال ، ومنها ما ذكر عن محمد بن علي بن الدويلة أنهُ كان يمسح الألم فيبرئ المريض (يوسف النبهان ، د.ت ، ٩٢) .

ويذكر الشيخ عبد القادر الكيلاني* إن إنكار إمكانية حدوث فعل خارق ما سواء كان معجزة أو كرامة ، هي بمثابة الكفر وإنكار القوانين التي وضعها الله عز وجل (والعياذ بالله) ، إذ أن الله قادر إن يضع قدراتهِ في من يصطفيهِ من البشر.(يوسف أبو الحاج ، ٢٠٠٧ ، ١٠٤)

وقدم الطب نماذج من التفسيرات للأحداث والقدرات الخارقة . فالنموذج البايلوجي في الطب يرفض بشكل قاطع أي قصور لما فوق المادة والماديات ، حتى أنهُ عد الفكر النفسي جزء من العوامل المادية ، وأن أدنى تصور لما فوق الملموس هو جزء من الخرافة والدجل . وقد حاربت تلك الرؤيا المادية الدين بقسوة وعناد . (صلاح الجابري ، ٢٠٠٩ ، ١١ : ١٢)

- أما النظرية الشمولية فأنها تؤكد أن تعامل الحالة الصحية للإنسان على أنها نتاج التفاعل بين عوامل مادية والأخرى غير مادية ، أي عوامل بايلوجية وأخرى عقلية وسايكولوجية الذي يسمى فيما بعد بـ (النموذج التفاعلي) ، إذ ظهرت بحوث تؤكد إن جهاز المناعة عند الإنسان يمكن إن يتأثر بشكل كبير بحالتهِ السايكولوجية والعقلية .(نهرو الكسنزاني ، مصدر سابق ، ١٢ : ١٤)

لذلك يؤكد علماء النفس أنهُ من الخطأ الاعتقاد بأن الإنسان مزدوج التكوين هنا الجسم وهناك الروح ، بل الصحيح أن الإنسان وحدة جسمانية – روحية ، بتشابك وامتزاج ، فلا عجب أن يوقف

تصميم الروح إعراض المرض في الجسم وأن يسوق الجسم إلى طريق الشفاء . وهذا ما ثبت في الطب حديثاً .(أمين رويحة ، ١٩٨٧ ، ٥١)

لذا يستعين بالتنويم المغناطيسي كوسيلة لتحقيق الشفاء لأمراض يستحيل شفاءها بالأدوية والعمليات الجراحية ويعتبر شفاؤها ضرباً من المعجزات .(المصدر السابق ، ٤٧)

٣- وهناك النموذج التفاعلي الذي يقبل العوامل غير الملموسة ويعترف بالتأثيرات النفسية على الحالة البايلوجية ، ويرى الشفاء غير التقليدي (الخارق) يحصل كنتيجة لتوقع واعتقاد المريض بالتأثيرات الايجابية لممارسة العلاج ، والمريض هو الذي يشفي نفسهُ وليس المعالج ، وأن جسم الإنسان مزود بالعديد من الميكانزمات البايلوجية أللإرادية لوظائف علاج ذاتي وقتل الجراثيم والفايروسات التي تهاجم الجسم ، وأن ظواهر الشفاء التي لا تعتمد على العقاقير الكيميائية هي مظاهر لقدرات علاج ذاتي وأن تحفيزها ذي أصل غير بيولوجي بل سايكلوجي .(نهرو الكسنزاني ، مصدر سابق ، ١٥)

أما علم الباراسيكولوجي وتفسيرهُ لظواهر الشفاء الخارقة .

أن علم الباراسيكولوجي يتعامل مع ظواهر خارقة للطبيعة وهي ذات أرضية فكرية متشابهة مع نظرية النموذج التفاعلي ، معنى هذا أن عنصر القرارات الذاتية هو الطاغي على جميع التفاسير الباراسيكولوجية حيث لا يرجعون الشيء إلى قدرات ذاتية بل على قدرات خارقة (ميتافيزقية) ، إذ قد يمارسون أفعالهم حتى في حالة النوم .(صلاح الجابري ، ٢٠٠٩ ، ٦١ : ٦٢)

وتدخل ضمن تلك الحالات التجربة الصوفية ، كما هو في الحالات المغيرة للوعي ، والتي تجعل علاقة الوعي بالعالم الحسي علاقة سلبية في حين تكون علاقتهُ بالمستوى الباطني ايجابية .(المصدر السابق ، ١٨٠)

إضافة إلى أن علم الباراسيكولوجي يرفض النظرة (الميتافيزقية) رغم انهُ لم يأتِ بالبديل عنها لتفسير الظواهر فوق الطبيعية والخوارق في الطريقة الصوفية .(المصدر السابق ، ٢٠)

وقد واجهت نظرية النموذج التفاعلي ووجهة نظر علم الباراسيكولوجي قصوراً في تفسير ما تشهدهُ الصوفية من شفاء فوري ، إذ إن الثابت العلمي هو أن الشفاء الذاتي الذي يحتاج إلى محفز بايلوجي أو سايكولوجي يستغرق وقتاً يطول أو يقصر ، والنتيجة النهائية العجز الفعلي لقسمي الطب البايلوجي والتفاعلي عن تفسير هذهِ الظواهر سواء اعترف فيها أو أنكرها .(نهرو الكسنزاني ، مصدر سابق ، ٥٤)

لذلك فأننا لا نستطيع أن نحكم عن هذهِ القدرات الخارقة للعادة والتي يمتلكها البعض من الناس الذين اصطفاهم الله سبحانهُ وتعالى إلا من خلال المنظور الإسلامي الذي يحقق القبول والرضا النفسي للناس .

المبحث الرابع

الدراسات السابقة

أولاً : دراسة د. سيد عويس وهي بعنوان (رسائل إلى الإمام الشافعي(سيد عويس ، ١٩٧٨) دراسة سوسيولوجية) .

استهدفت الدراسة وصف وتحليل ظاهرة اجتماعية وهي إرسال الرسائل إلى ضريح الإمام الشافعي كجزء من عناصر الثقافة في المجتمع المصري .

اختصرت الدراسة على (١٦٣) رسالة تم إرسالها إلى ضريح الإمام الشافعي عن طريق البريد وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

١- ظاهرة التبرك بالأولياء وإرسال الطلبات لهم أحدى ملامح المجتمع المصري وهي ظاهرة قديمة متوارثة .

٢- تضمنت الرسائل شكوى للأمام وكانت خمسة أنواع (شكوى الاعتداء على الأموال ، شكوى الاعتداء على الأشخاص ، شكوى في نطاق الأسرة ، شكوى في نطاق العمل ، والخامسة متنوعة).

٣- تضمنت الرسائل الوعود بأيفاء النذور في حال تحقق المطالب وكانت مختلفة (الذبائح ، مبالغ مالية ، خدمة في الإمام ، إطعام المساكين وغيرها) ، وتضمن رسائل أخرى فيها طلبات الانتقام ورفع الظلم ثم طلب عقد جلسة لهيئة محكمة باطنية ، والشفاء من الأمراض والزواج .

٤- يتحدد موضوع أي ولي من أولياء الله ويتطور الاعتقاد بهِ عن طريق (الشارة) .

٥- بعض الخطابات تدل على وجود جرائم غير منظورة يعاني فيها مرسلوها كالسرقة والاحتيلال والاعتداء والتفكك الأسري والظلم .. .

ثانياً : دراسة السيد احمد حامد وهي بعنوان (الاعتقاد في الأولياء) دراسة انثروبولوجية اجتماعية في النوبة (السيد احمد حامد ، ١٩٧٣) .

واستهدفت الدراسة وصف وتحليل ظاهرة الاعتقاد بالأولياء في النوبة . توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها :

١- أن الناس يتوقعون من أوليائهم الحماية من الأمراض وشفاء المرض وحماية الإناث من العقم والمساعدة في وقت الأزمات ومباركة الزراعة ، كذلك للولي قدرة على إلحاق الأذى والضرر بكل ظالم .

٢- تعتقد النساء النوبيات أن الأولياء لهم قدرة على رفع العقم عنهن ومساعدتهن على الإخصاب وإنجاب الأطفال والحماية من المرض والموت ، والتبرك بالولي في زواج الفتيات .

٣- تقام احتفالات الكرامة وهو احتفال ديني بمناسبة ظهور كرامة الولي وتقديم النذور وغالباً ما تكون شاة أو عنز ولا يحق للفرد التصرف بـ (الذبيحة) عندما تُشخص للولي لأنها أصبحت جزء من ممتلكاتهِ .

٤- لا تقتصر النذور على الذبائح بل تقدم الحبوب والنقود فقد أشارت ٨٧.٥ % من مجموع الحالات ضرورة الالتزام بالنذور و١٢.٥ % قالوا أنها التزامات تقدم للنقيب أو القائمين على رعاية الضريح . ويعتقد ٧٥% من أفراد المجتمع أن عدم الالتزام بالنذور يلحق إضرار بالغة بصاحب النذر.

٥- أن هذا الاعتقاد يولد سلوك خاطئ بين البشر يساعدهم على اللجوء إلى المحتالين والدجالين ممن يدعون الولاية لكي يكتبوا لهم طلاسم سحرية ، ويقع البسطاء من الناس ضحية سهلة لمن يتخذ الحيلة والشعوذة أداة للتكسب .

الفصل الثاني: المبحث الأول

أولاً :- الإطار المنهجي للدراسة

أن مفهوم المنهج العلمي يعني الطريقة التي يتبعها الباحث في تناولهِ لمشكلة الدراسة (وجيه محجوب ، ٢٠٠٥ ، ٢٢٢) .

وعلى الباحث تحديد منهجاً أو عدة مناهج تتلائم مع طبيعة موضوع الدراسة والظروف الاجتماعية والنفسية والتاريخية التي تسيطر على الظاهرة .(احسان محمد الحسن ، عبد المنعم الحسني ، ١٩٨٢ ، ٣٥)

وهو ما دفع الباحثان إلى اختيار مناهج تناسب الموضوع وهي :

١- المنهج التاريخي (Historical Method)

قد استخدم الباحثان المنهج التاريخي في التعرف على جذور بعض المعتقدات المتعلقة بالأيمان بالأولياء وقدراتهم بإجابة حاجات الناس وفقاً لمعتقدات المذاهب الإسلامية ، خاصة المذهب الشيعي في

العراق والتعرف بالأمام (أبو الفضل) أبن الإمام موسى الكاظم (عليهم السلام) ونسبهُ إلى آل بيت النبوة الطاهرة .

٢- منهج تحليل المضمون (Content Analysis Method)

وهو المنهج الذي تم اعتمادهُ في البحث ، وهذا المنهج يقوم على تحليل ووصف منظم ودقيق لمحتوى نصوص مكتوبة أو مسموعة ، وتعريف مجتمع الدراسة الذي يتم اختيار الحالات الخاصة فيهِ لدراسة مضمونها وتحليلهِ (يحيى مصطفى عليان ، ٢٠٠٤ ، ٤٨) .

ويراعى في منهج تحليل المضمون استخدام الفنون الإحصائية الرياضية في تحديد الأفكار وتفسير العبارات والكلمات في النصوص المكتوبة والسياقات والاتجاهات وعدد المرات التي تكررت فيها تلك الأفكار والاتجاهات (احسان محمد الحسن ، ٢٠٠٥ ، ١٦٣) .

ومن العناصر الرئيسية لمنهاج (تحليل المحتوى) تحديد البواعث المختلفة لألوان السلوك أو معرفة الأهداف التي يرمي إليها الإنسان وراء سلوكياتهِ من خلال محتوى ما يكتبهُ ، ومن الميسور تبويب وتحليل البيانات التي يمكن اشتقاقها بأسلوب كمي على اعتبار أن مدلولات الأرقام لا يختلف عليها اثنان .(زيدان عبد الباقي ، ١٩٨٠ ، ٣٦٤)

مع مراعاة النقاط التالية(غريب سيد احمد ، ١٩٨٩ ، ١٤٨ : ١٥١) :

١- تحديد الفترة الزمنية التي كتبت فيها الرسالة .
٢- تحديد عناوينها والمناسبات .
٣- تحديد الأفكار أو المحاور التي يمكن أن تنطوي عليها العبارات ومغزاها والآثار النفسية والاجتماعية لها .
٤- إحصاء عدد المرات التي تكررت فيها نفس الأفكار والعبارات .

ثانياً :- حدود البحث

تمثل مجال البحث بالقصاصات الورقية التي ترسل إلى ضريح الإمام (أبو الفضل بن موسى الكاظم (عليهما السلام)) الواقع في مدينة الديوانية (مركز محافظة القادسية) في العراق والتي تجمعت في مقصورة الضريح الشريف خلال المدة من (٢٠١٠/٧/١ ولغاية ٢٠١٠/١٢/٣) .

ثالثاً :- أداة البحث

إن مادة الدراسة تتضمن رسائل تمت كتابتها بصورة شخصية و(سرية) بين المرسل والمرسل إليه ، على اعتبار أن هذهِ الرسائل لا يتم الكشف عنها ولا يطلع إليها احد ، لذا فهي تعبر عن مكنون حقيقي ودوافع صادقة داخل الإنسان دفعتهُ في وقت معين إلى الشكوى والطلب من الإمام إيجاد الحلول لمشاكل أو مصاعب يعاني منها إضافة إلى الاستعانة بثلاث من الخبراء القائمين على خدمة مرقد الإمام لفحص وتفسير الغموض لبعض الرسائل موضوع البحث .

رابعاً :- خطوات التحليل

توخياً للدقة العلمية في تحليل الرسائل موضوع البحث قام الباحثان بالخطوات التالية:

١- قراءة الخطابات أكثر من مرة (خاصة وان أكثر الخطابات قد كتبت بخط يدوي رديء جداً) .
٢- إجراء مقابلة مع الإخباريين من خدمة مرقد الإمام لمعرفة معنى بعض الخطابات الغامضة أو الأوراق الفارغة التي وجدت في مقصورة الإمام .*
٣- تحليل الرسائل وفقاً لنوعها وإجراء عمليات التحليل الإحصائي بأستخدام الإحصاء البسيط (النسبة المئوية ، ومربع كاي) وجداول التحليل الرياضي .

خامساً : مجتمع الدراسة والعينة

إن من ضرورات البحث العلمي في الدراسات الاجتماعية الميدانية أن يحدد الباحث ابتداءاً الإطار الذي تسحب منهُ العينة ، وهو ما يعرف بمجتمع البحث ، وبيان الأسباب التي تستدعي

الاستعاضة عن الدراسة الشاملة للمجتمع بدراسة جزء منهُ وهو ما يعرف بالعينة(إحسان محمد الحسن ، عبد المنعم الحسني ، مصدر سابق ، ٨٥) .

ولما كان إطار مجتمع الدراسة الحالية (الرسائل المرسلة إلى الأمام أبو الفضل (ع)) غير محدد ويصعب حصرهُ لأحتوائهِ على أكوام الأوراق والمواد المختلفة والمتداخلة مع بعضها ، إضافة إلى خصوصية بعضها الآخر كالنقود والحلي ، ودفعاً لإحراج السادة المسؤولين عن ضريح الإمام لذلك اقتصرت الدراسة على (ما سمح للباحثان الاطلاع عليهِ) وهي الرسائل الورقية على شكل قصاصات مختلفة الإحجام الكثير منها غير نظامية قدرها الباحثان بما يزيد عن (٥) آلاف رسالة وتم اختيار عينة عشوائية منها للدراسة ، كما سيرد بيانهُ .

أ- مجتمع الدراسة The Society of Study

كانت تفاصيل الرسائل والمواد المرسلة إلى الإمام (ع) والمجمعة في شباك الضريح والتي مثلت الإطار العام لمجتمع البحث على الشكل الآتي :-

١- النقود والحلي الذهبية : وهي تمثل جانب من النذور التي أوفى بها الناس الذين قضيت حاجاتهم ، وقد ضمت أنواع من العملات العراقية والأجنبية وهي (الدينار ، التومان الإيراني والدولار الأمريكي) ، ولم يتم الحصول على القيمة أو الرقم الدقيق لها ، إلا إن احد سدنة المرقد الشريف قد ذكر بأن المبالغ التي يتم جمعها في كل مرة يفتح شباك الإمام ، تبلغ أكثر من (٥٠) مليون دينار ، تودع لدى ديوان الوقف الشيعي للتصرف فيها خدمة للمرقد الشريف وراحة زوارهِ .

٢- قطع قماش مختلفة بكميات غير محددة اغلبها يمثل (العلق) وهي قطعة قماش إما خضراء أو بيضاء اللون يتبرك الزائر ويتمسح بها تقرباً من الإمام ولنيل كرامتهِ وبركتهِ .

٣- الأدوية والعلاجات بعضها غير مستعملة والتي يصعب حصرها وهي على شكل (أقراص حبوب ، أداة زرق الإبر ... وأخرى) ، والغرض منها التبرك بالولي للحصول على الشفاء السريع من المرض إيماناً بأن الولي أسرع بتحقيق الشفاء من الأدوية والعقاقير .

٤- خيوط مختلفة وهي متداخلة ولا يمكن حصرها تستعمل لـ (القطع) ، والذي تقوم بهِ إحدى نساء خدمة الإمام ويطلق عليها (الكيمية) فتقوم بلف الخيط حول جسم (المريضة) أو (صاحبة الحاجة) التي ترجو الحصول على الذرية ، وتدور حول ضريح الإمام ثم تضع الخيط في المقصورة أو تحملهُ معها تبركاً بالإمام .

٥- الشعر : وهو بكميات مختلفة الأطوال والإشكال ، وما ترمز لهُ من معانٍ بحسب رأي المخبرين ، هو إثارة حفيظة الإمام (وهم إحياء عند ربهم) والحصول على (شارة الولي) إذ أن شعور صاحب الحاجة بالعجز والظلم الذي لحق بهِ يجعلهُ يلجأ إلى هذهِ العادة اعتقاداً إن الإمام سوف يلبي طلبهُ ويعينهُ على من ظلمهُ ، وعادة ما يكون أصحاب الشعر من النساء فالمرأة تسعى بوسائل مختلفة إما جهلاً أو يأساً لحل المشكلات التي تعجز عن مواجهتها في الواقع الذي تحياه .

٦- مفاتيح وإقفال : وكانت عددها (٢٣) قفل ومفتاح ، وهي ترمز إلى فك الضيق والكرب والهم من خلال فتح القفل ورميهِ في المقصورة ، ويذكر علي زيعور أن للمفتاح دلالة رمزية لتحقيق المراد.(علي زيعور ، ١٩٧٧ ، ١٣٤)

٧- الأقلام واللوازم المدرسية والأسئلة الأمتحانية ويهدف مرسلوها طلب التوفيق لأبنائهم ولاستجلاب الحظ والنجاح لهم.

٨- مسبحة : وقد وجدت إعداد من المسابح المختلفة إذ اعتاد المسلمون في طقوسهم ممارسة التسبيح بعد كل فرض من الصلاة يترجى فيها الشخص غفران الذنوب وقبول الطاعات .

٩- علب سكائر : حيث ينوي صاحبها طلب مساعدة الإمام لهُ للإقلاع عن التدخين ، بعدما عجز عن ترك هذهِ العادة الضارة .

١٠-حرز أو حجاب للتابعة أو القرين (رفعت الجوهري ، ٢٠٠١ ، ٢٨) : وهذهِ توضع عادة داخل قطعة قماش خضراء أو بيضاء ، بعد خياطتها (على شكل مثلث أو مستطيل) وبشكل محكم لا يجوز فتحهُ إذ يطمح صاحبها الحصول على بركة الإمام في التخلص من الجن والأرواح الشريرة أو القرين أو دفع الإعمال السحرية عنهُ .

وجميع هذهِ المواد المرسلة السابق ذكرها لم تدخل ضمن عينة البحث .

ب- عينة الدراسة The sample of Study

لقد اقتصرت الدراسة على تحليل مضمون الرسائل الورقية المكتوبة فقط ، وكانت بكميات هائلة يصعب حصرها ، لخصوصية عائديتها والتي قدرها الباحثان بآلاف الرسائل ، والتي حصل منها الباحثان على مجموعة (كوم) بلغ عدد قصاصاتهِ (٦٣٨) ورقة سُمح للباحثان بأجراء الدراسة عليها بعد أن تعهدا برميها في نهر الديوانية عند انتهاء الحاجة منها (وهو الإجراء الذي يعتمدهُ خدمة الإمام عادة في التعامل مع الرسائل)* .

وبعد جرد هذهِ القصاصات وتصنيفها فقد وجدنا في بعضها دلالات رمزية تحتاج إلى تفسير ، الأمر الذي تطلب الاستعانة بذوي الخبرة من سدنة المرقد الشريف لتأويل رموز بعض الرسائل فقد تبين أن من بين القصاصات الورقية البالغة ، هناك (٣١) ورقة بيضاء فارغة لم يكتب عليها شيء و(٢٣) ورقة مكتوبة بخطوط متعرجة ومتداخلة غير مفهومة اقرب إلى الرسوم ، وهناك (٧٩) ورقة يصعب قراءتها أو لم يذكر اسم مرسليها ، وقد جاء تفسير ذلك من قبل الخبراء ، أن أصحاب هذهِ الرسائل يتكلمون مع الورقة قبل إرسالها ويذكروا طلباتهم من الإمام وشكواهم لهُ دون إن يدونوا ذلك على الورقة ، إيماناً منهم بأن الولي يقرأ ما في قلوبهم من مطالب . وقد استبعدت هذهِ الرسائل والبالغ مجموعها (١٣٣) والتي تمثلت بنسبة (٢٠.٨%) من عينة الرسائل من الدراسة والتي استشف الباحثان منها سذاجة الأسلوب الذي اعتمد في إخراجها والذي يخفي خلفهُ نوعاً معيناً من القضايا التي يؤمن بها هؤلاء الناس والتي تملأ المناخ الاجتماعي والثقافي الذين يعيشون فيهِ .

إما ما تبقى من الرسائل وعددها (٥٠٥) رسالة والتي تمثل نسبة (٧٩.٢%) من القصاصات الورقية فقد اعتمدت كعينة ممثلة لما سيجريه الباحثان من تحليل لمضمونها والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول رقم (١)

يبين مضمون الرسائل الورقية والعينة المختارة للدراسة

مضمون الرسائل الورقية	التكرار		%	
أوراق بيضاء بدون كتابة	٣١	١٣٣	٤.٩	٢٠.٨ (استبعدت من الدراسة)
أوراق بخطوط متعرجة أشبه بالرسوم	٢٣		٣.٦	
أوراق لم يذكر اسم مرسليها	٧٩		١٢.٤	
رسائل تحتوي على شكاوي وطلبات	٥٠٥		٧٩.٢ (مثلت عينة الدراسة)	
المجموع	**٦٣٨**		**١٠٠ %**	

المبحث الثاني : عرض وتحليل بيانات الدراسة

جنس مرسلي الخطابات :-

يكشف تحليل مضمون الرسائل والخاص بجنس مرسليها إن النساء تسهم بإرسال الجزء الأكبر من الرسائل المرسلة إلى الأولياء نظراً لتفاقم حاجاتها وقصر حيلتها ووطأة القيود التي ترزخ تحتها في

المجتمع ووقوعها ضحية نظام اجتماعي فرض عليها أقصى درجات الغبن ناهيك عن سيطرة الغيبيات على عقليتها ، وهكذا الحال عموماً بالنسبة لكل ضعيف ، فيأس الرجل من حل مشكلاتهِ وتحقيق طموحاتهِ ، أو تعرضهِ لظلم أو تعسف الحاكم أو صاحب السلطان عليهِ ، هو الذي يلجأهُ إلى مقام الأولياء يتلمس بركاتهُ وعونهم *.

حيث أظهرت البيانات أن (١٤٩) من الرسائل والتي تمثل (٢٩.٥ %) من العينة قد أرسلت من قبل الرجال ، وأن (٣٥٦) رسالة والتي تمثل نسبة (٧٠.٥%) من العينة قد أرسلت من النساء . والجدول الآتي يوضح ذلك:-

جدول رقم (٢)

يبين جنس مرسل الرسائل إلى الإمام

الجنس	العدد	%
إناث	٣٥٦	٧٠.٥
ذكور	١٤٩	٢٩.٥
المجموع	**٥٠٥**	**١٠٠**

جهة إرسال الرسائل

أن التفكير بوجود حياة بعد الموت للأولياء وإرسال الرسائل إليهم وطلب شفاعتهم وقضاء الحاجة منهم ، هو جزء من الإيمان بأنهم صفوة الشهداء وهم إحياء عند ربهم يرزقون ، وهي أمور استمر العراقيون على مر الأجيال يؤمنون بها كجزء من العناصر الثقافية الراسخة لديهم ، فالملاحظ من الرسائل إن الالتجاء للأولياء وذوي الكرامات يمكن إن يتم عن طريق وسيط ، فليس جميع الرسائل موجهة إلى الإمام أبو الفضل (ع) موضوع دراستنا ، فهناك (١٧٧) رسالة تمثل نسبة (٣٥%) من العينة مرسلة إلى أولياء آخرون من (آل البيت) النبوي الشريف إيماناً من المبحوثين إن الأولياء هم إحياء يصل بعضهم بعضاً مختزلين المكان والزمان ، فيما بلغت الرسائل التي كانت طلباتهم وشكواهم موجهة إلى الإمام أبو الفضل (٣٢٨) رسالة تمثل (٦٥%) من العينة . والجدول الآتي يوضح ذلك :-

جدول رقم (٣)

يبين جهة الإرسال

جهة الإرسال	العدد	%
الإمام أبو الفضل (ع)	٣٢٨	% ٦٥
أولياء آخرون	١٧٧	% ٣٥
المجموع	**٥٠٥**	**% ١٠٠**

ألقاب الإمام أبو الفضل (ع)

حينما يقصد الناس ولي من الأولياء إنما يقصدونهُ لما لهُ من كرامة وقدرات في إجابة طلباتهم وتخفيف آلامهم والمصاعب التي يعانون منها ، وهم عادة ما ينعتونهُ بأحسن الصفات ويخلعون عليهِ أرفع الألقاب التي تدل على ما يتمتعون بهِ من القدرة على إتيان قدرات خارقة وامتيازات عن سائر البشر ، وهكذا نرى إن لكل ولي صيتهُ ومكانتهُ عند الناس حسب ما تروي عنهُ الروايات من اعجازات وقدرات تدل على علو مكانتهُ .

ومثل ما هو شائع عند الشيعة العراقيون ، أن الإمام العباس بن علي بن أبي طالب (ع) يلقب بـ (أبو رأس الحار) حيث أنهم يخشون الحلف بهِ كذباً لقوة شارتهِ (احمد الخشاب ، ١٩٨١ ، ٥٠) . ومثل ما هو معروف أيضاً عن الأمام موسى الكاظم (ع) من ألقاب مثل (أبو طلبة) و(قاضي الحاجات) و(باب الحوائج) ، كذلك بالنسبة للإمام أبو الفضل (ع) الذي أطلقت عليهِ ألقاب عديدة تضمنتها بعض

رسائل المستجيرين بهِ ، وهي تدل على امتلاكهِ قوة وحضوة وشفاعة عند الله سبحانهُ وتعالى ، حيث تم حصر (ستة ألقاب) أطلقها على الإمام مرسلوا الرسائل وقد جاءت هذهِ الألقاب حسب تسلسلها المرتبي الموضح في الجدول الآتي :-

جدول رقم (٤)
يبين ألقاب الإمام أبو الفضل (ع)

الألقاب	التسلسل المرتبي	الوزن الرياضي	%
أبو الفضل	١	٢٤٧	٣٤.٥
ابن الكاظم	٢	١٧٣	٢٤.٢
زيد النار	٣	١٥٤	٢١.٥
أبو طلبة	٤	٨٦	١٢
سبع الديوانية	٥	٣٥	٤.٩
أبو جيرة	٦	٢١	٢.٩
المجموع	-	٧١٦	١٠٠

حيث جاء أكثر الألقاب تواتراً لقب أبو الفضل في (٢٤٧) رسالة وبنسبة بلغت (٣٤.٥ %) ، لكثرة فضلهِ وخيرهِ وانهُ لا يرد من يستجير بهِ خائباً .

وجاء في التسلسل المرتبي ثانياً بتكرار بلغ (١٧٣) رسالة تمثل نسبة (٢٤.٢%) من الرسائل لقب ابن الكاظم كون الإمام احد أبناء الإمام موسى الكاظم (ع) وهو من الأئمة الأثنا عشر عند الشيعة ، إما لقب زيد النار جاء تسلسلهُ ثالثاً وبنسبة بلغت (٢١.٥ %) من الرسائل .

وجاء بالمرتبة الرابعة لقب (أبو طلبة) وبنسبة (١٢%) اعتقاداً من اصحاب الرسائل انهُ لا يرد طلب من يتضرع إليهِ طالباً المغفرة أو الشفاعة أو قضاء حاجة ، وجاء بالمرتبة الخامسة لقب (سبع الديوانية) وبنسبة (٤.٩ %) لشجاعتهِ وقوتهِ ، وجاء بالمرتبة السادسة لقب (أبو جيرة) وبنسبة (٢.٩ %) بمعنى انهُ لا يرد من استجار بهِ مظلوماً .

الرسائل ومحاسبة النفس عن أخطائها :

وفي مقابل الأوصاف الخارقة وعبارات التعظيم في شأن الأولياء التي تضمنتها بعض الرسائل التي أوضحها الجدول السابق أنهُ هناك (٩٣) رسالة تمثل نسبة (١٨.٥%) من الرسائل المرسلة إلى الإمام ، وهي رسائل النادمون على أفعالهم منها (٦٧) رسالة تمثل نسبة (١٣.٣%) ارسلت من قبل الذكور ، و(٢٦) رسالة تمثل نسبة (٥.٢ %) مرسلة من قبل الإناث ، الذين نراهم يحقرون من شأن أنفسهم ويصفونها بصفات بمستوى الذل والمهانة بما يعكس حالة الوهن والاستسلام التي هم فيها ، وكأنهم مغلوبون على أمرهم ولا إرادة لهم .

منها (٢٤) رسالة تمثل نسبة (٤.٨ %) من الرسائل وصف أصحابها أنفسهم (بالعبد الفقير) ، (٤.٤%) منهم ذكور ، (٠.٤%) إناث ، وجاءت (١٩) رسالة وبنسبة (٣.٨%) من الرسائل التي وصف مرسلوها أنفسهم (بالمجرم أو المذنب) إلى الله (٣.٢%) منهم ذكور ، و(٠.٦%) إناث ، فيما وصف (١٧) شخصاً منهم يمثلون نسبة (٣.٣%) من الرسائل أنفسهم (بالحقير أو التافه) (٢.٩ %) منهم ذكور ، و(٠.٤%) إناث وأطلق (١٤) منهم وبنسبة تمثل (٢.٨ %) من الرسائل وصف (الضعيف أو المحتاج) (١%) منهم ذكور ، (١.٨%) من الإناث وإمعاناً بالمعاناة التي يشعر بها البعض فقد وصف (١٣) منهم أنفسهم بالمعذب (١.٤ %) منهم من الذكور ، و(١.٢%) من الإناث ، فيما ذكر (٦) منهم يمثلون نسبة (١.٢%) من مرسلو الرسائل (٠.٤%) منهم من الذكور ، و(٠.٨%) من الإناث قد ذكروا إن ما يحل بهم من نوائب من زاوية الابتلاء الحياتي الذي يحتم عليهم إيمانهم قبولهُ عن الرضا.

ولاشك أن دلالات جميع هذهِ الأوصاف وما تنطوي عليهِ من معانٍ تبين المستوى العالي من المعاناة النفسية التي يعيشها مرسلوا هذهِ الرسائل ، فالإنسان الذي يلج في المعصية ويسرف في الذنب يحس أنهُ طُرد من رحمة الله تعالى ، ولكن في لحظة اليأس ممكن أن يسمع نداء الرحمة الذي قد يعينهُ إيمانهُ بالولي على بلوغهِ مصداقا لقوله تعالى :(قل يا عبادِ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقطنوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، انهُ هو الغفور الرحيم)(الزمر ، ٥٣) .

ولغرض التحقق من وجود علاقة معنوية بين جنس مرسلي هذهِ الرسائل واعترافهم بذنوبهم ووصفهم أنفسهم بالأوصاف المذكورة ، فقد أظهرت نتائج اختيار ، (مربع كاي) وجود فرق معنوي بين كل من الذكور والإناث ، حيث كانت قيمة (كا٢) المحسوبة (١٨.١) وهي معنوية على مستوى اختبار (٠.٠٥) مما يعني إن الفرق موجود بين الذكور والإناث ، هي فروق حقيقية أي إن الرجال أكثر جرأة على الإقرار بذنوبهم ومحاسبة أنفسهم من الإناث والجدول الآتي يوضح ذلك :-

جدول رقم (٥)

يبين الأوصاف التي اطلقها بعض مرسلي الرسائل على أنفسهم

نوع الوصف	ذكور				إناث				المجموع الكلي	%
	العدد		%		العدد		%			
العبد الفقير	٢٢	٦٧	٤.٤	١٣.٣	٢	٢٦	٠.٤	٥.٢	٢٤	٤.٨
المذنب أو المجرم	١٦		٣.٢		٣		٠.٦		١٩	٣.٨
الحقير أو التافه	١٥		٢.٩		٢		٠.٤		١٧	٣.٣
الضعيف المحتاج	٥		١		٩		١.٨		١٤	٢.٨
المعذب	٧		١.٤		٦		١.٢		١٣	٢.٦
المبتلى	٢		٠.٤		٤		٠.٨		٦	١.٢
خالية من أي وصف	٨٢		١٦.٢		٣٣٠		٦٥.٣		٤١٢	٨١.٥
المجموع	**١٤٩**		**٢٩.٥**		**٣٥٦**		**٧٠.٥**		**٥٠٥**	**١٠٠**

الموضوعات والمشكلات التي تضمنتها الرسائل :-

حيث تقل حيلة الإنسان كأن يتعرض لتهديد في حقوقهِ أو صحتهِ ، أو ولدهُ ، أو أن يصيبهُ قمع وتسلط وقهر فأنهُ يحتاج في موقف الضعف هذا إلى ولي يمكنهُ من التصدي والمواجهة والتغلب على معاناتهُ ولدى تحليل مضمون الرسائل وجد أنها تتضمن معاناة مرسليها من مشكلات عديدة ليست متشابهة أمكن تحديد موضوعاتها في ثمان أنواع يأتي في مقدمتها المشكلات الصحية وبنسبة بلغت (٢٥.٣%) من الرسائل ، واغلبها تدور حول أمراض مستعصية يأس أصحابها من إيجاد الشفاء لها بعد مراجعات طويلة للأطباء فأوكلوا حالهم إلى من يشفع لهم برحمة الشافي المعافي .

وجاءت مشكلات الأسرة والزواج بالمرتبة الثانية وبنسبة بلغت (٢١.٢%) من العينة ، وقد تضمنت موضوعات تتعلق بالخلافات الزوجية ، أو طلب تحقيق رغبة الشخص بالاقتران فيمن يحب ، أو أن يرزق صاحب الطلب بابن أو ابنة الحلال تستر حاله ، أو طلب الذرية ، أو هداية الزوج والأبناء إلى طريق الخير والابتعاد عن بعض العادات الرذيلة .

وجاءت المشكلات الاقتصادية بالمرتبة الثالثة فيما عرضتهُ الرسائل من هموم مرسليها ، وبنسبة بلغت (١٧%) من الرسائل ، وهي جزء من معاناة شرائح واسعة من المجتمع العراقي من مشكلات البطالة والفقر ، وقد أنصبت دعوات الرسائل بتسهيل الحصول على وظيفة أو مصدر رزق أو الحصول على مسكن ، أو الإيفاء بالديون .

وتضمنت (١٢.٧%) من الرسائل إسقاط أو اعتراف بالأخطاء من قبيل اليمين الكاذب أو ارتكابهم جرائم غير منظورة ضد المجتمع لكنها لم تصل إلى علم الجهات المختصة ، وبين هذهِ

الرسائل شكاوى من جرائم ارتكبت في حق مرسليها ، ولم يجدوا سوى الأمام ملجأ يشكون إليهِ حالهم والتي يكون ضحيتها أحد إفراد العائلة . أو أن الجرائم ترتكب من قبل السلطات ضد المواطنين ، وكثير من هذهِ الجرائم قد حصلت في ظروف البلد غير المستقرة الحالية ، حيث لا يجد الضحايا من مجيب سوى تسليم أمرهم إلى الله والشكوى عند الأولياء والصالحين طمعاً برد الأضرار التي إصابتهم وتبين هذهِ الرسائل خشية المجني عليهِ من سطوة الجاني وما يتمتع بهِ من حصانة.

وتضمنت (١١.٥%) من الرسائل قضايا تبين خشية الناس من تأثير السحر وتفسير ما يصيبهم وعوائلهم من إضرار من أمور تتعلق باستخدام خصومهم أساليب السحر والشعوذة أو العين الحاسدة ، وهذا السلوك برأي الباحثان أنما يمثل تأويلاً نفسانياً واجتماعياً للاضطرابات السلوكية التي يعاني منها مرسلوا هذهِ الرسائل .

وحاول (٦.٢%) من مرسلي الرسائل إسقاط ذنوبهم وتبرئة أنفسهم من النزوات باعترافهم بترك التكاليف الشرعية وخضوعهم لإغواء الشيطان ولا شك أن هذا السلوك المعبر عنهُ من خلال هذا النمط من الرسائل يكشف رضوخ مرسليها لهيمنة النظام الروحي ودورهِ الرقيب الذي يمثل الأنا الأعلى (أو الضمير الخلقي) في مواجهة الاستسلام للغواية وهكذا تصبح بعض الرسائل مجالاً للتنفيس عما لا يرضى عنهُ الإنسان أو المجتمع من خلال التبريرات والمعاذير للأخطاء والهفوات أو محاولة إسقاطها على الغير الذي تتهمهُ بأنهُ سبب المصيبة .

ومن خلال هذهِ الصورة من المعاناة التي تضمنتها الرسائل ، وغيرها من وسائل التقرب النفسي للأولياء ، يملأ الإنسان مرسل الرسائل عالمهُ العاجز بالأمل بالفرج من شدتهِ ، وعندما تحل أزمتهُ ويتخلص منها لا بد من تقديم الشكر والعرفان وهذا ما تضمنتهُ (٦.١%) من الرسائل التي ظفر مرسلوها بأنتهاء معاناتهم وحل مشكلاتهم .

ويبدو من بيانات البحث أن الإناث أكثر ممارسة لظاهرة عرض مشكلاتهن ومعاناتهن على الأولياء ، وذلك لأن النساء في مجتمعنا تقع عليهن أعباء كبيرة ويعانين من مشكلات كثيرة ، وربما يحملن مشكلات غيرهن ، لذلك فان هناك أكثر من سبب يدفع المرأة لهذهِ الممارسة ، فهي إما باحثة عن الخلف ، أو خائفة من زواج زوجها من امرأة أخرى ، أو ناشدة حب الزوج وحنوه عليها أو ساعية للتوسل عسى إن تفتح إمام أسرتها أبواب الرزق أو طالبة الخلاص من ضرتها ، أو ذاهبة للكشف عن عزيز مفقود أو غائب ، أو فك اسيراً او سجيناً ، أو للشفاء من مرض أو الكشف عن المسروق ومعرفة السارق ، أو باحثة عن الزواج والاستقرار العائلي .

ولمعرفة مدى وجود فرق معنوي بين الذكور والإناث حول المشكلات التي عرضتها الرسائل فقد ظهرت نتائج اختبار (مربع كاي) وجود فرق معنوي ذا دلالة احصائية في المشكلات الصحية ولصالح الإناث حيث كانت قيمة كا٢ المحسوبة (٢٤.٢) وهي أعلى من القيمة الجدولية على مستوى ثقة ٩٠% ، ٩٥% ، ٩٩% ودرجة حرية (١) ، والبالغة (٢.٧ ، ٣.٨ ، ٦.٦) على التوالي .

إما باقي المشكلات وعلى نفس مستوى الثقة ودرجة الحرية وقيمة كا٢ الجدولية أعلاه فقد كان هناك فرقاً معنوياً بين الجنسين في المشكلات الأسرية حيث كانت كا٢ المحسوبة (٣٠.١) وهي فروق حقيقية ولصالح الإناث أيضاً ، أما عند حساب كا٢ في المشكلات الاقتصادية فكانت (١٨.٦) وهي أعلى من كا٢ الجدولية وهذا يؤكد أن هناك فروقاً حقيقية بين الجنسين ولصالح الإناث . وظهرت النتائج الإحصائية أن كا٢ المحسوبة (٢.٢) في الرسائل التي تحوي قضايا جنائية وأمنية وهي اقل من كا٢ الجدولية والبالغة (٢.٧ ، ٣.٨ ، ٦.٦) على مستوى ثقة ٩٠% ، ٩٥% ، ٩٩% على التوالي وهذا يؤكد عدم وجود فرق معنوي بين الجنسين في هذا النوع من الرسائل .

إما في الرسائل المتعلقة بقضايا السحر فقد ظهرت كا٢ المحسوبة (٣٣.٤) وهي أعلى من كا٢ الجدولية وهذا يؤكد وجود فرق معنوي حقيقي بين الجنسين في إرسال هذا النوع من الرسائل ولصالح

الإناث . إما في الرسائل المتعلقة في (التقصير بالعبادات) فكانت ذات دلالة إحصائية ولصالح الذكور ، حيث كانت كا٢ المحسوبة (٧.٢) وهي أعلى من كا٢ الجدولية البالغة (٦.٦) وبمستوى ثقة ٩٩% .

وعند حساب كا٢ في الرسائل المتعلقة (بالشكر والعرفان) فقد ظهرت كا٢ المحسوبة (٥.٤) وهي معنوية على مستوى ثقة ٩٠% ، ٩٥% حيث كانت كا٢ الجدولية (٢.٧) ، (٣.٨) على التوالي وبدرجة حرية (١) وهي تؤكد فروق معنوية بين الجنسين في إرسال هذا النوع من الرسائل ولصالح الإناث ، والجدول التالي يوضح ذلك :

جدول رقم (٥)

يبين الموضوعات والمشكلات التي تضمنتها الرسائل

الموضوع أو المشكلة	ذكور		إناث		المجموع	
	ع	%	ع	%	%	
مشكلات صحية	٣٦٠	٧.١	٩٢	١٨.٢	١٢٨	٢٥.٣
مشكلات الأسرة والزواج	٢٥	٤.٩	٨٢	١٦.٢	١٠٧	٢١.٢
مشكلات اقتصادية	٢٣	٤.٦	٦٣	١٢.٥	٨٦	١٧.١
قضايا جنائية وأمنية	٢٦	٥.١	٣٨	٧.٥	٦٤	١٢.٧
قضايا السحر	٧	١.٤	٥١	١٠.١	٥٨	١١.٥
التقصير بالعبادات	٢٣	٤.٦	٨	١.٦	٣١	٦.١
الشكر والعرفان	٩	١.٨	٢٢	٤.٤	٣١	٦.١
المجموع	**١٤٩**	**٢٩.٥**	**٣٥٦**	**٧٠.٥**	**٥٠٥**	**١٠٠**

طبيعة الطلبات التي تضمنتها الرسائل :

في مقابل المشكلات التي شكى منها مقدمي الرسائل ، تضمنت الرسائل طلبات متعددة الأنواع يعتقد أصحابها أنها تمثل الحل الذي يأملونهُ لمشكلاتهم ، بعضها يظهر ما في نفوس أصحابها من مرارة وضياع ومن حاجة للمساعدة ، وقد أمكن تصنيف هذهِ الطلبات إلى (ستة) أنواع ، وتبين إن أكثر أنواعها تواتراً والتي بلغت (١٨٦) رسالة وبنسبة (٣٦.٨%) من الطلبات قد تضمنت طلب الشفاء من المرض ، تليها وبنسبة (٢٣.٩%) طلبات الحكم العادل ورفع الظلم وهذا النموذج من الطلبات تحصل عادة في الخلافات التي تقع بين أشخاص تربطهم علاقات قربى كأن يكون زوج وزوجتهِ ، أو أشخاص تربطهم مصالح خاصة .

وجاءت طلبات الانتقام بنسبة (١٩.١%) من الرسائل ، وهي تكشف ما في نفوس أصحابها من غل وحقد إزاء خصومهم وتضمنت (٦.٢%) من الرسائل طلب المغفرة والعفو عن الأخطاء التي وقع فيها مقدمي الرسائل ، فيما طلب (٧.١%) من أصحاب الرسائل تسهيل عودة الغائب أو الفرج من صعوبة أو استرجاع المال المسروق ، ولاشك أن هذهِ الطلبات تعكس إيمان أصحاب الرسائل بأن الأئمة من آل البيت يملكون زمام الحل لمشكلاتهم والجدول الآتي يوضح ذلك :

جدول رقم (٦)

يبين طبيعة الطلبات التي تضمنتها الرسائل

طبيعة الطلب	العدد	%
طلب الشفاء وحل العقد	١٨٦	٣٦.٨
الحكم العادل ورفع الظلم	١٢١	٢٣.٩
الانتقام	٩٦	١٩.١
تسهيل عودة الغائب أو المفقودات	٣٦	٧.١

العفو والمغفرة	٣١	٦.٢
بدون طلب	٣٥	٦.٩
المجموع	**٥٠٥**	**١٠٠**

النذور التي تضمنتها الرسائل

اعتاد الناس منذ القدم على تقديم القرابين وتأدية النذور والإيفاء بها إلى الله أو الأولياء وذلك واعترافا بشفاعة الأولياء وفضلهم على مريدهم ، وعلى هذا النحو من الإيمان والاعتقاد بالأولياء جاءت (٤٠٨) رسالة تمثل نسبة (٨٠.٢%) من مجمل الرسائل التي وعد أصحابها بتقديم النذور للإمام في حالة إجابة طلباتهم وتحقيق مرادهم ، فيما جاءت (٩٧) رسالة فارغة من أي وعد من قبل أصحابها بتقديم النذور .

وقد كانت أقيام هذهِ النذور متباينة ، فكل حسب مقدرتهِ حيث كشفت بعض الرسائل عن الوضع المالي المتواضع والمتدني أو فقر حال مرسليها والتي تتضح من طبيعة الوعود التي تضمنت تقديم عطايا بسيطة في حال مشكلاتهم وانقضاء معاناتهم ، وفي مقابل رسائل الفقراء ، فأن القسم الآخر من الرسائل تكشف عن وجود إمكانية مالية جيدة لدى أصحاب هذهِ الرسائل ، والتي تضمنت وعودا بتقديم عطايا بمبالغ عالية أو مواد ثمينة .

حيث أسفر تحليل مضمن الرسائل إلى أنها تقع في ثلاث أصناف من النذور وهي على الشكل الآتي:-

نذور بمبالغ نقدية محددة تراوحت بين (١٠ الآلف – مليون دينار) أو نسبة من إيراد المشروع في حالة نجاحهِ أو راتب شهر واحد في حالة الحصول على وظيفة وقد احتوتها (٢١٢ رسالة) تمثل نسبة (٤٢%) من الرسائل وهناك نذور لمواد عينية تضمنتها (١١٣) رسالة تمثل نسبة (٢٢.٤%) من الرسائل وذلك من قبيل تقديم جزء من محصول زراعي أو نحر الذبائح أو توزيع المأكولات ، أو الحلويات (وهو ما يعرف بالويهلية) أو تقديم مواد كهربائية كأجهزة تكيف الهواء أو المراوح الكهربائية ، أو بإضافة ملحقات إنشائية للضريح أو ترميمهِ أو تقديم السجاد أو الثريات ، وهو ما يؤشر الحالة المادية الجيدة لمرسلي هذا النوع من الرسائل . ومثل النوع الثالث من النذور وهي النذور الطقوسية (٨٣) رسالة تمثل نسبة (١٦.٤%) من الرسائل ، من قبيل أن ينذر الشخص صوماً أو صلاتاً لمدة معينة في حالة إجابته طلبهِ أو أن يقوم بخدمة الإمام ، أو أن يُسمي ولدهُ على اسم الإمام أو إن يأتي لزيارة الإمام سيراً على الإقدام أو القدوم زحفاً على الركبتين أو تقبيل العتبة إذ ما تحقق مرادهُ ، ويمكن أن نستشف من هذهِ النذور الحالة الإيمانية العميقة ، أو ربما فقر حال مقدمي هذا النوع من النذور لان تقديمها لا يترتب عليهِ أي تبعات مادية ولغرض معرفة مدى وجود فرق معنوي بين الذكور والإناث في (الوعود بتقديم النذور) ، فقد ظهرت نتائج اختبار مربع كاي وجود فرق معنوي بين الجنسين ولصالح الإناث حيث كانت كا٢ المحسوبة (١٤.١) وهي معنوية على مستوى اختيار (٠.٠٥) ومستوى ثقة ٩٠% ، ٩٥% ، ٩٩% والبالغة (٢.٧ ، ٣.٨ ، ٦.٦) على التوالي وبدرجة حرية (١) ، مما يعني أن الفروق الجوهرية الموجودة بين المبحوثين (الذكور والإناث) هي فروق حقيقية والجدول الآتي يوضح ذلك :-

جدول رقم (٧)
يبين النذور التي تضمنتها الرسائل

نوع النذور	ذكور		إناث		المجموع	
	ع	%	ع	%	الكلي	%
نقود	٧١	١٤.١	١٤١	٢٧.٩	٢١٢	٤٢

مواد عينية	٤٥	٨.٩	٦٨	١٣.٥	١١٣	٢٢.٤
طقوسية	١٦	٣.١	٦٧	١٣.٣	٨٣	١٦.٤
غير مبين	١٧	٣.٤	٨٠	١٥.٨	٩٧	١٩.٢
المجموع	**١٤٩**	**٢٩.٥**	**٣٥٦**	**٧٠.٥**	**٥٠٥**	**١٠٠**

المبحث الثالث

النتائج والتوصيات

اولاً :- نتائج الدراسة

١- أن إرسال الرسائل إلى أضرحة الأولياء أمر معروف وموجود بل هو منتشر في أماكن متعددة تشمل مساحة انتشار أضرحة ومراقد الأولياء في العراق ، حيث لا تكاد مدينة عراقية تخلو منها.

٢- أن استمرار هذهِ الممارسة على مر الأيام والأسابيع والأعوام وشيوعها بين مختلف الشرائح الاجتماعية جعل منها مؤشراً على عمق تأثير الجانب الروحاني في الشخصية العراقية ، والذي لم يتغير رغم ما حدث من تغيرات اجتماعية في الكثير من العناصر الثقافية في مجتمعنا ، واستمرار هذهِ العناصر حتى الآن يمثل ظاهرة ثقافية قائمة في مجتمعنا ، يصعب تجاهلها .

٣- أن هذهِ الظاهرة باقية ولن تختفي لأن هناك من يحس عن صدق أو وهم بأن هذهِ الوسيلة قد عادت عليهم بالفائدة والحل لمشاكلهم ومعاناتهم .

٤- تعكس الرسائل حالة الإحساس باليأس والعجز وقلة الحيلة لدى مرسليها واضطرارهم إلى التماس النتائج من غير أسبابها وذلك بأستبدال السببية المادية بالسببية الغيبية والتي تتناسب في انتشارها مع تضخم الإحساس بالعجز وانعدام الوسيلة .

٥- هناك دلالات رمزية واضحة في الرسائل والأشياء المرسلة إلى الأولياء يفهم منها تعابير الإحزان والمظالم والمعاناة النفسية العالية لأصحاب هذهِ الرسائل .

٦- يستشف من الرسائل تدني المستوى الثقافي والمعرفي للنسبة الغالبة من ممارسي هذهِ الظاهرة لاسيما النساء وهو ما كشفت عنها طبيعة الطلبات وبساطة النذور .

٧- تكشف الرسائل جانباً من معاناة ومظلومية بعض الناس والعداوة والاستغلال الذي يتعرضون لهُ ، والذي ربما لم يصل إلى علم الجهات المختصة .

٨- وربما تعرض أصحاب هذهِ الرسائل إلى استغلال ضعفاء النفوس ممن يسعون إلى المتاجرة بالدين واستغلال حاجة هذهِ الشرائح المستضعفة ، بأسباغ طابع الغرابة والقدسية على تصرفاتهم وايهام الناس بقربهم من الأولياء .

ثانياً :- التوصيات

١- ضرورة اخذ المخطط للسياسة الاجتماعية والأمنية مضامين بعض هذهِ الرسائل بنظر الاعتبار كونها تكشف عن أنماط من المشكلات والجرائم الخفية أو غير المنظورة التي لم تصل إلى علم السلطات الأمر الذي يتطلب أخذها بنظر الاعتبار في التخطيط لمواجهة هذا النمط من الجرائم وخاصة الجرائم الواقعة في إطار العائلة أو الجرائم الناتجة عن تعسف البعض ممن يتولون تطبيق القانون لحقوق الناس .

٢- ضرورة تعاون الجهات المسؤولة في المؤسسة الدينية المشرفة على رعاية شؤون المراقد المقدسة والتي يمثلها (ديواني الوقف السني والشيعي) مع الباحثين لتسهيل إجراء بحوث على شاكلة هذا البحث لمراقد الأئمة المعصومين وأولياء الله الصالحين .

٣- إشاعة ثقافة احترام خصوصية ثقافة ومعتقدات الآخر الدينية والاجتماعية انسجاماً مع ما نص عليه الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ .

٤- ضرورة إجراء المزيد من الدراسات الميدانية حول المعتقدات الغيبية والرواسب الثقافية ، من قبل المختصين بفروع الاجتماع والأنثربولوجيا وعلم النفس ، لإلقاء الضوء على هذا الجانب الأعتقادي المهم في تكوين الشخصية العراقية.

المصادر العربية

القرآن الكريم .

(١). د. إبراهيم بدران وسلوى الخماش ، دراسات في التعليم للعربية ، (دار الحقيقة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٤) .

(٢). ابن منظور : لسان العرب،(دار إحياء التراث العربي،مؤسسة التاريخ العربي،بيروت،لبنان، ج٩ ، ط٣ ، د. ت) .

(٣). أبي عبيدة ماهر بن صالح آل مبارك : فتح المغيث في السحر والحسد ومس إبليس ، (دار علوم السنة للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٩٧٥) .

(٤). د. إحسان محمد الحسن : مناهج البحث الاجتماعي ، (دار وائل للنشر ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٥) .

(٥). د. إحسان محمد الحسن ، د. عبد المنعم الحسني : طرق البحث الاجتماعي ، وزارة التعليم العالي ، المكتبة الوطنية ، بغداد ، ١٩٨٢.

(٦). د. أحمد الخشاب:التفكير الاجتماعي:دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية،دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ .

(٧). آرنس غيليز:مجتمع مسلم،ترجمة د. أبو بكر احمد با قادر،(دار المدار الإسلامي،بيروت، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤) .

(٨). الإمام الزاهر أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي:ختم الأولياء،(دار الكتب العلمية،بيروت،د.ت)

(٩). السيد احمد حامد : الاعتقاد في الأولياء ، دراسة انثروبولوجيا اجتماعية ، (مجلة كلية الآداب ، جامعة الكويت ، العدد الثالث والرابع ، ١٩٧٣) .

(١٠). د. أمين رويحة : التداوي بالإيحاء – الروحي ، التنويم المغناطيسي ، (مكتبة النهضة ، بغداد ، ط٣ ، ١٩٨٧) .

(١١). باقر شريف القرشي : أضواء على زيارة القبور ، (مطابع النجف الأشرف ، النجف الاشرف ، ١٤١٧ هـ).

(١٢). جلال الدين السيوطي : إحياء الميت بفضائل أهل البيت ، (المجمع العالمي لأهل البيت،طهران، إيران ، د.ت) .

(١٣). د. حسن عيسى الحكيم ، الإمام المهدي تاريخ وعقيدة ،(النجف الاشرف ، ٢٠٠٥).

(١٤). حسين علي قيس محمد القيسي : في طبيعة المجتمع العراقي في العصر العباسي المتأخر ، (دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٧) .

(١٥). حمزة الحسن : الشيعة في المملكة السعودية ، (مؤسسة البقيع لآحياء التراث ، ط١ ، ١٤١٣ هـ ، ج٢) .

(١٦). رفعت الجوهري:شريعة الصحراء،(الهيئة العامة لقصور الثقافة،سلسلة دائرة الكتاب،رقم(٢٧) ، ط٢ ، ٢٠٠١) .

(١٧). د. زيدان عبد الباقي : قواعد البحث الاجتماعي ، (مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٠) .

(١٨). د. سيد عويس : رسائل إلى الإمام الشافعي ، (دار الشايع للنشر ، الكويت ، ط٢ ، ١٩٧٨) .

(١٩). د. شاكر مصطفى سليم : الحضارة مفهومها ومكوناتها ، (مجلة معهد البحوث للدراسات العربية ، مؤسسة الخليج للطباعة ، الكويت ، العدد ١٣ ، ١٩٨٤) .

(٢٠). د. صلاح الجابري : خارقية الإنسان الباراسيكولوجي في المنظور العلمي ، (دار صفحات للدراسة والنشر ، دمشق ، سوريا ، ط٢ ، ٢٠٠٩) .

(٢١). عبد الرزاق نوفل : التصوف والطريق إليه ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٥ ، ص [١١٩]) .

(٢٢). د.على الوردي:دراسة في طبيعة المجتمع العراقي،(دار مكتبة دجلة والفرات ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٩).

(٢٣). د. علي زيعور : التحليل النفسي للذات العربية ، (دار الأندلس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٧) .

(٢٤). د.علي زيعور:الكرامة الصوفية والاسطورة والحلم،(دار الأندلس للطباعة والنشر،بيروت،لبنان، ط٢ ، ١٩٨٤) .

(٢٥). د. غريب سيد احمد : تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي ، (دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٩) .

(٢٦). د. كامل عبد المالك : ثقافة التنمية ، دراسة في اثر الرواسب الثقافية على التنمية الشاملة ، (دار مصر المحروسة ، القاهرة ، ١٩٨٢) .

(٢٧). د. محمد احمد غنيم : الطب الشعبي ، الممارسات الاجتماعية في دلتا مصر ، (عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧).

(٢٨). د. محمد الجوهري : علم الفلكلور ، دراسة في الانثروبولوجيا الثقافية ، (دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ج١ ، ١٩٨٨) .
(٢٩). محمد رضا عباس الدباغ : سيرة الائمة ، (موسى الكاظم ، علي الرضا ، محمد الجواد) ، مطبعة قلم ، ايران ، ط١ ، ٢٠٠٥ .
(٣٠). محمد شلتوت : الفتاوي ، (دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٦٩) .
(٣١). محمد عابد الجابري : الروحية ضرورة لكن بأي معنى ؟ (مجلة الوحدة ، الرباط ، العدد ٣٩ ديسمبر ، ١٩٨٧).
(٣٢). د. محمد عبد المنعم خفاجي ، الادب في التراث الصوفي ، (دار غريب للطباعة ، القاهرة ، د.ت) .
(٣٣). د. مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي ، مدخل إلى سيكولوجيا الإنسان المقهور ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١٠ ، ٢٠٠٧ .
(٣٤). د. مصطفى محمد سبتي : الحياة الفكرية للأقليات المذهبية ، (دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧) .
(٣٥). نبيلة ابراهيم : الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، (مكتبة القاهرة ، مصر ، ١٩٦٧) .
(٣٦). د. نهرو الشيخ محمد الكسنزاني ، خوارق الشفاء الصوفي والطب الحديث ، (دار القادري للنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٧) .
(٣٧). د. وجيه محجوب:اصول البحث العلمي ومناهجهُ،(دار مناهج للنشر والتوزيع، عمان ، الاردن ، ط٢ ، ٢٠٠٥).
(٣٨). د. يحيى مصطفى عليان ، د. عثمان محمد غنيم : أساليب البحث العلمي ، (دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٤) .
(٣٩). يوسف أبو الحاج ، الظواهر البشرية الخارقة ، الباراسيكولوجي ، (الوليد للطباعة والنشر ، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٧) .
(٤٠). يوسف النبهان : جامع كرامات الأولياء ، (دار صادر للنشر ، بيروت ، د.ت ، ج١) .
(٤١). يوسف سامي اليوسف : مقدمة للنفري ، (دار الينابيع ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٧) .

* الشيعة:تمثل نسبة ١٠% من مسلمي العالم يعيش معظمهم في إيران والعراق،(كولين تيرنر ، مصدر سابق ، ٣٢٥).
* نسب الإمام : هو زيد بن الامام موسى بن جعفر الكاظم (عليهما السلام) ولد ما بين الأعوام (١٤٠ – ١٥٠ هجرية) والملقب بزيد النار وهو الابن الخامس للامام موسى الكاظم (ع) ، وكان من معارضي حكم بني العباس ، وقد خرج بجيش لإسقاط الدولة العباسية في زمن خلافة (المأمون) الذي أمر حاكم البصرة في حينهِ (أبو السرايا) بجمع القبائل المؤيدة لبني العباس لملاقاتهِ وإجهاض ثورتهِ ، وقد دارت المعركة بين الجيشين عند وصولهما إلى (نهر يوسف) في الديوانية وهو النهر القديم للمدينة ، وفي رواية أخرى يذكر إن المعركة وقعت في منطقة (الأحواز) . وقد انتهت المعركة بأصابت الإمام بجروح بليغة استشهد على أثرها .

وفي رواية تذكر ان المأمون قد سقاهُ سماً فمات على أثره ، وهي عادة درج عليها بني العباس في التصدي لآل البيت (ع) (إما بالقتل أو بدس السم) .

[محمد رضا عباس الدباغ : ٢٠٠٥ ، ص[٨٤]] كذلك انظر www.mzarat.net/84 .

وتذكر الروايات إن الإمام زيد بن الإمام الكاظم (ع) قد لقب بـ (زيد النار لأنهُ قد دعى الله سبحانهُ وتعالى بقولهِ (يا نار زيدٍ على ديار بني العباس) وقد استجابة سبحانهُ وتعالى إلى دعائهِ بحرق بيوتهم لذلك لقب (بزيد النار) وهي ذات الرواية المتداولة لدى الأمين الخاص لمزار الإمام (ع) ، المصدر السابق نفسهُ .

* أحد ثلاثة من أكابر مشايخ الطريقة الكسنزانية (صاحبة الخوارق البشرية) ، وهم (علي بن ابي طالب (ع) والشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني) الذي سميت على لقبهِ [يوسف أبو الحجاج ، ٢٠٠٨ ، ص[١٠٥]].
* تم الحصول على هذهِ الخطابات بعد أن تكررت زيارة الباحثان الى مرقد الامام إذ ان مقصورة الامام لا تفتح الا مرتين في السنة فعادةً تؤخذ هذهِ الخطابات وترمى في نهر الديوانية . (الإخباريين) .
* من طقوس الطائفة الشيعية : عند الأحتفال بمولد الامام الثاني عشر ، المهدي المنتظر (عج) تسير الواح خشبية تثبت فوقها الشموع في الأنهر وتترك لتسير مع مجرى المياه ، اعتقاداً بأنها تحمل طلبات مرسليها لنيل بركات الامام ، ويبدو ان هذهِ الطريقة في التعامل مع الرسائل تسير على ذات الدلالات المعنوية (الباحثان) .
* طلب البركة تعني بالضرورة الشعور بالعجز ، والشعور بأهمية البركة تعني التقليل من دور الإنسان في الخلق والإبداع [د. إبراهيم بدران وسلوى الخماش ، ١٩٧٤ ، ص[١٦٠]] .

المصادر الأجنبية

(1). Durkheim , Emile : the Elementary of Religion life . Translate eat by – swain , J.W. Colleier Books . New York . 1961 .

(2). Hinter , Dand phillip : The study of Anthropology , Harper and Row Publisher , U.S.A , 1976 .

Abstract

The present study aimed (the belief in the dignity of the Patriarchs) to disclose material facts that point to the continued strength and relevance of these beliefs and that regarding matters of dispatch of letters to the shrines of saints, and the reason is sent and the content of these messages.

The study sample consisted of content analysis (505) message has been sent to the shrine of Imam Abu al-Fadl ibn Imam Musa al-Kazim (AS). Was the adoption of statistical analysis using the tables of mathematical analysis and the percentage and Chi square.

The study revealed the multiplicity of motives to send these messages some of which are the motives of the psychological, social, cultural, economic and cultural elements, one rooted in Iraqi society. One of the factors related to the phenomenon helplessness and inability to face life's problems add to the injustice community, which is located on a lot of the senders of these messages, especially women, also found that the proportion (70.5%) of the messages were sent by women compared to a rate (29.5 %) than men.

The study revealed the analysis of the content of messages that in return for titles and expressions of veneration for the imam, individuals describe themselves as qualities in the level of humiliation and degradation, as if they who are helpless and powerless, overall (13.3%) of letters for males contain these qualities and the proportion (5.2%) of messages for females.

The analysis of the content of the messages that they have problems experienced by owners who are seeking assistance guardian to solve the health problems and other messages with the problems of the family, marriage, and economic problems, the issues of criminal and security, and there are messages with the issues of magic, some letters of recognition in the failure to worship, and letters of thanks and gratitude in the same ratio.

The results showed that the messages consisted miscellaneous applications wanted poster curling with the help of forward and its favored when God is up (36.8%) in the request for healing and resolving the contract, and by (23.9%) achieving the just rule and injustice, and by (19.1%) reprisal of enemies, and (7.1%) to facilitate the return of the absent or found stolen goods and the proportion (6.2%) requested intercession and pardon and forgiveness.

There are messages containing the promises Baafa vows in the case of check you want and the vows different from money, including materials in kind different and there are vows of ritual rate (16.4%), and explained the study and evidence as the statistic, the proportion of females is higher than the proportion of males with this type of message.

In light of these results the researchers put a set of recommendations.